تسلية نفوس النساء والرجال عند فقد الأطفال

للحافظ عَبْدِ الرَّحْمَن بنِ رَجَبٍ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بتحقيق الشَّيخ الوليد بن عبد الرَّحمن الفريان

قام بتنسيقه ونشره: سَلْمان بن عبد القادر أبُو زيدٍ

تَسْلِيَةُ نُفُوْسِ النِّسَاءِ والرِّجَالِ عِنْدَ فَقْدِ الأطْفَالِ

للحافظ عَبْدِ الرَّحْمَن بنِ رَجَبٍ
ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ تَعَالَى ـ
736 - 795 هـ
بتحقيق « الشَّيخ الوليد بن عبد الرّحمن الفريان ـ أثَابَهُ اللَّـهُ ـ .»
قام بتنسيقه ونشره : سَلْمان بن عبد القادر أبُو زيدٍ
ـ عَفَا اللَّـهُ عَنْهُ بِمَنِّه ـ.

نرى مدى ما يتمتع به الأولاد من مكانة عالية في نفوس أهليهم ، ولذلك فالابتلاء فيهم له وقع شديد على النفوس ، وأثر لا تمحوه الأيام ، إلا من تذرع بالصبر ، وفوض أمره إلى الله كما قال يعقوب عليه السلام : { إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ } [سورة يوسف

الآية **86] .** وإفراد هذا الموضوع الإنساني بالبحث لفتة بارعة من أبي الفرج تفيض بالحس الرفيع والروح الشفافة

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [سورة التغابن الآية 11] . ويقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياه) ، وفي حديث آخر من رواية صهيب رضي الله عنه قال : (عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) .

الصبر في قمة الأعمال الصالحة التي وعد الله عليها بالثواب الوافر ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [سورة الفرقان الآية 75].

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية 90]. ﴿

وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [سورة الإنسان الآية 12] وأصبر الناس على بلاء الله هم الأنبياء ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [سورة الأحقاف الآية 35] .

لأنه في مواقف الضيق والحرج يمتحن الإيمان ، وتظهر للناس خبيئته ، حيث تتجرع النفس مرارة الألم ، وتعبس الدنيا ويكفهر وجهها . هناك تتجلى قيمة الصبر وفضائله ، متى استطاع الإنسان بعزيمته الصادقة وتسليمه بقضاء الله ، أن يكبح جماح نفسه الشموس ، ويأخذ بمجامعها إلى الجادة ، فإذا ذاقت حلاوة الصبر وبرد الإيمان ، هجعت واطمأنت ، وذهب عنها وهج الحزن وكدره ، حتى ترجع أصلب ما تكون عودا ، وأقوى في مصاولة خطوب الدنيا ونكساتها .

وبهذا الدرع الفريد ، يتجاوز المسلم أزماته ؛ ليحمل مشعل الحياة الكريمة في دروب الأرض وفجاجها الواسعة ، ويقوم بالمهمة التي خلق من أجلها ، وليكمل مسيرة الخير تحت راية التوحيد الخالدة ، فتتحول المنغصات الخانقة ، إلى محرك نشط يدفع بالأمة إلى واجهة التاريخ ، ويصقل بخشونته النفوس فتعود أكثر تألقا ؛ لتعيش هنيئة راغدة في ظل دوحة الإسلام الوارفة ، تتفيا ظلالها وتتقلب في خيراتها .

موضوع الكتاب

غرس الله في قلوب الآباء محبة الأولاد والشغف بهم ، فلا تكاد تجد أبا أو أما إلا وهو متعلق بأولاده ، كلف بهم ، مهما بلغ جفاء قبله وخشونة أخلاقه ، وقد أشار إلى ذلك المولى جل وعلا في كتابه الكريم بقوله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [سورة آل عمران الآية **14**] وقوله : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[سورة الكهف الآية **46**] .

وقال مذكرا خلقه بهذه النعمة وممتنا عليهم بها : ﴿ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [سورة الإسراء الآية **6**] . وقال : ﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴾ [سورة الشعراء الآية **133**] . وقال : ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [سورة نوح الآية **12**] .

حتى بلغت الشفقة بالآباء أن ذهب يعقوب عليه السلام يوصي أولاده بقوله : ﴿ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ [سورة يوسف الآية **67**] . مع أنه ﴿ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ [سورة يوسف الآية **68**] .

وذهب نوح عليه السلام يدعو ابنه إلى الركوب معه في السفينة فقال : ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا

تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة هود الآية 42] .
ثم سأل الله تعالى أن يرده إليه : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [سورة هود الآية 45] .
وابتلى الله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ووحيده إسماعيل عليه السلام ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [سورة الصافات الآية 102] ؛ ليمتحن صبره وجلده على أقدار الله فكان من الصابرين المتحسبين ، وقد وصف الله ذلك بأنه بلاء مبين﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [سورة الصافات الآية 106] .

من هذا نلمح مدى ما يتمتع به الأولاد من مكانة عالية في نفوس أهليهم ، ولذلك فالابتلاء فيهم له وقع شديد على النفوس ، وأثر لا تمحوه الأيام ، إلا من تذرع بالصبر ، وفوض أمره إلى الله كما قال يعقوب عليه السلام : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [سورة يوسف الآية 86] .
وإفراد هذا الموضوع الإنساني بالبحث لفتة بارعة من أبي الفرج تفيض بالحس الرفيع والروح الشفافة(1)

المؤلف

هو العلامة الحافظ المفسر الفقيه الأصولي الواعظ أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسين السلامي البغدادي ثم الدمشقي ، المعروف بابن رجب الحنبلي ولد ببغداد سنة **736** هـ وتوفي سنة **795** هـ .

والحديث عن أخلاقه ومناقبه وخلاله الجمة ، لا تكاد تفي به الصفحات الطوال ، وأظن أن أصدق وصف له ما قاله العليمي : اجتمعت الفرق عليه ومالت القلوب بالمحبة إليه(2)
أما عبادته وزهده وورعه فحدث ولا حرج ، يقول الحافظ ابن حجر : كان رحمه الله عبادة وتهجد منجمعا عن الناس لا يخالطهم ، ولا يتودد إلى أحد من ذوي الولايات(3).
ولو ذهبنا نستنطق التاريخ ونسأل صفحاته ، لظفرنا بما ننوء بحمله ونعجز عن تسطيره . وحسبنا القول الذي ألقي على تراثه ، والمحبة التي أشربت بها القلوب .
وهذه المنزلة المرموقة الشامخة لم يكن وصوله إليها ضربا من العبث ولم تأت عفوا ، فدونها خرط القتاد ، وإنما جاءت تتويجا لأعماله وجهوده ووعيه النادر ؛ لأن التاريخ مرآة صادقة يعكس الواقع بتجرد ، ويعطي كل ذي حق حقه من غير

ادعاء أو تزييف .
فالتأريخ حكم فصل تسقط دونه جميع الأقنعة ، وتنكشف أمامه مواطن الضعف ومسارب القصور .

(1) كان من الأسباب التي دفعتني إلى إخراج هذا الكتاب: أني فقدت منذ سنوات ثلاث أخا وصديقا من خؤلتي ، اخترمته المنية وهو في ميعة الصبا وريعان الشباب ومن خيرة الناس استقامة وخلقا ونبلا. فرأيت في نشره تعزية لنفسي وأهله ومن أصيب بمثل ذلك .
(2) [المنهج الأحمد ق / 470]
(3) [إنباء الغمر بأخبار العمر 1 / 795]

وبالطبع فإننا نقصد به التأريخ الحقيقي - سواء كان منشورا أم لا - البعيد عن المؤثرات البيئية التي ربما كانت سببا في إخفائه أو تشويهه .
ابن رجب : أيها الرجل المعطاء لقد أنصفك التأريخ ، وبوأك مكان الصدارة في عالم الفكر ودنيا الثقافة ، فلله درك من عالم وهب نفسه لله وأتحف الناس بروائعه ، التي لا زالت نبعا صافيا يردونه في كل حين .

الأصل المخطوط

وصلتنا صورته ضمن مجموعة خطية ، عن أصل محفوظ في مكتبة فاتح تحت رقم **5318** ، ويقع في ست ورقات ، نسخت سنة ثلاث وتسعين وثمان مائة كتبها عيسى بن علي الحوراني(4) بقلم نسخي جيد ومسطرتها **19** سطرا (ينظر الأنموذج) وسجل في أوله ما نصه : (يتلوه كتاب تسلية نفوس النساء والرجال عند فقد الأطفال . تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام شهاب الدين أبي العباس الحنبلي الشهير بابن رجب رحمهما الله تعالى) (5) وقد حاولت الحصول على نسخ أخرى لأستفيد منها في التحقيق فلم أجد ، ولعلي أن أعثر على ذلك في مستقبل الأيام .

التوثيق :

سلفت الإشارة إلى أن المجموع الذي يضم هذا الكتاب على درجة لا بأس بها من الصحة والإتقان .

وتداول العلماء له بالتملك والوقف ، مع اشتماله على رسائل أخرى للمؤلف دليل آخر على صحة نسبة الكتاب إليه ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك التشابه في الأسلوب بينه وبين مؤلفاته المعروفة ، فإننا نصل إلى القناعة بصدق هذه النسبة .

ولا يضر بعد ذلك إهمال المترجمين له في ثبت المؤلفات ؛ لأنهم دأبوا على الاكتفاء بالمشتهر دون غيره .

منهج التحقيق :

حرصت على أن يخرج الكتاب كما وضعه مؤلفه . فلم أتصرف في النص إلا بقدر ما تقضي به الضرورة ؛ من إضافة أو تعديل ، فقمت به ونبهت عليه في موضعه ، وعزوت الآيات الكريمة وخرجت الأحاديث الواردة - مع نقل ما قاله أهل العلم في شأن ثبوتها - والآثار التي أسعفتني المصادر بها ، وترجمت لمن رأيت أنه بحاجة إلى التعريف به ، وفسرت ما حسبته غامضا .

وبعد :

أرجو الله مخلصا أن أوفق إلى متابعة هذا الجهد المتواضع فيما يعود بالخير والنفع المتصل ، فمنه نستمد العون ونستلهمه الرشد والسداد .

كتبه :الوليد بن عبد الرحمن الفريان

19 / 6 / 1407 هـ

الوجه الأول من الورقة الأولى

(4) لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من المصادر.

(5) سبق أن ذكرت وصفا موسعا للمجموع في العدد السادس عشر من المجلة .

نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم
رب يسر يا كريم

ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد ، وآله وصحبه أجمعين وبعد :
ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك . فواعدهن يوما لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها ، إلا كان لها حجابا من النار . فقالت امرأة : واثنين ؟ قال : واثنين) .
هذا يدل على أن مجالس النبي صلى الله عليه وسلم - للفقه في الدين والتذكير ونحو ذلك - لم يكن النساء يحضرنها مع الرجال ، وإنما كن يشهدن الصلوات في مؤخر المساجد ليلا ، ثم ينصرفن عاجلا ، وكن يشهدن العيدين مع المسلمين منفردات عن الرجال من ورائهم ، ولهذا لما خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم العيد

رأى أنه لم يسمع النساء ، فلما فرغ جاء ومعه بلال إلى النساء ، فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة ، وأجلس الرجال حتى يفرغ من موعظة النساء .
وأصل هذا ، أن اختلاط النساء بالرجال في المجالس بدعة كما قال الحسن البصري(6). فلذلك قال له النساء : (يا رسول الله ، غلبنا عليك الرجال). وقد روي من حديث أبي هريرة ، (أن النساء قلن : يا رسول الله ، إنا لا نقدر على أن نجالسك في مجلسك فقد غلبنا عليها الرجال ، فواعدنا موعدا نأتيك . قال : موعدكن بيت فلانة(7) فأتاهن فحدثهن) (8).
وقد أمره الله تعالى أن يبلغ ما أنزل إليه : للرجال والنساء ، وأن يعلمه الجميع ، كما قال له : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ الآية [سورة الأحزاب الآية 59] .

وقال : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ الآية [سورة النور الآية 31] .
فامتثل ما أمره الله تعالى ، ووعدهن مجلسا خاصا لهن ، في بيت امرأة ، ولعل تلك المرأة كانت من أزواجه أو محارمه - والله أعلم بحقيقة ذلك - ثم وفى بموعده لهن ، فأتاهن في يوم موعدهن ، فوعظهن وأمرهن ونهاهن ورغبهن ورهبهن ، فكان من جملة ما بشرهن به أن قال لهن : (ما منكن

امرأة تقدم ثلاثة من ولدها لم يبلغوا الحنث إلا كان لها حجابا من النار . فقالت امرأة : واثنين ؟ قال : واثنين) . وليس في هذا حد سالم(9)

وعمومه يدخل فيه من بلغ الحنث ومن لم يبلغه ، والمصيبة بمن بلغ أعظم وأشق على النفوس . والمصيبة بمن لم يبلغ أهون وأخف ، وقد جاء تقييده في حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (183 / أ) : (ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث ، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم) خرجاه في الصحيحين(10)

والمراد بالحنث الإثم(11)، والمعنى أنه لم يجر عليه الإثم ببلوغه العمر الذي يكتب عليه الإثم فيه . وهو ببلوغ الحلم وعلل : بفضل رحمة الله إياهم . يعني أن الله يرحم أطفال المسلمين رحمة تامة ، حتى تفضل عنهم ، فيدخل آباؤهم في فضل تلك الرحمة . وهذا مما يستدل (به) (12)على أن أطفال المسلمين في الجنة .

(6) الحسن بن أبي الحسن البصري الأنصاري مولاهم ، ثقة فقيه فاضل مشهور ، وكان يرسل كثيرا ويدلس ، توفي سنة عشر ومائة . [تقريب / 160]

(7) في المسند : بيت فلان .

(8) [أخرجه أحمد في المسند 19 / 138 (الفتح الرباني) ، والبخاري في الأدب رقم 148 .]

(9) ما بين الحاصرتين علق في الهامش بخط باهت . وهذا ما استظهرته .

(10)] البخاري في الصحيح رقم **1381** (فتح) ، وأحمد في المسند **3 / 152** ، والنسائي في المجتبى **4 / 24** ، وابن ماجه في السنن رقم **1605** ، وابن حبان في الصحيح رقم **721** (موارد) ولم يخرجه مسلم من حديث أنس .]

(11)] ينظر ابن حجر فتح الباري **3 / 120** .]

(12) زيادة يقتضيها السياق .

أطفال المسلمين في الجنة

وقد قال الإمام أحمد(13): ليس فيهم اختلاف أنهم في الجنة(14) - وضعف ما روي مما يخالف ذلك أيضا(15)–

و(لا) (16)أحد يشك أنهم في الجنة(17): قال : وإنما اختلفوا في أطفال المشركين(18).

وقال أيضا : هو يرجى لأبويه فكيف يشك فيه(19)!! يعني أنه يرجى لأبويه دخول الجنة بسببه ، فكيف يشك فيه !

ولذلك نص الشافعي(20)على أن أطفال المؤمنين في الجنة(21)، وروي ذلك عن علي وابن مسعود وابن عباس وكعب .

وخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال : أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، فتأوي إلى قناديل معلقة في العرش(22) وخرج البيهقي من رواية ابن عباس عن كعب نحوه(23)

(13) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ثقة حافظ فقيه حجة إمام ت **241.**]التقريب/ **84**[.

(14) نقله المؤلف من رواية جعفر بن محمد عنه . [كتاب الأهوال / **101**].

(15) [كتاب الأهوال / **105**].

(16) زيادة يقتضيها السياق .

(17) رواية الميموني عنه [كتاب الأهوال / **101**].

(18) [كتاب الأهوال / **104**].

(19) نقله المؤلف عنه في [كتاب الأهوال / **106** .]

(20) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي نزيل مصر. فقيه أصولي محدث ت **204** [التقريب / **467**].

(21) ينظر المؤلف أهوال القبور / **101** .

(22) ورواه الثوري والأعمش عن أبي قيس عن هذيل من قوله . ذكرهما المؤلف في الأهوال عن ابن أبي حاتم / **102** .

(23) [البعث والنشور رقم **206**].

ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم

وفي صحيح مسلم صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رجلا(24)قال له : مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله (183 \ ب) صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا . فقال : نعم ، صغارهم دعاميص(25)الجنة ، يتلقى أحدهم أباه - أو قال : أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال : بيده - كما آخذ أنا بصنفة ثوبك ، فلا يتناهى - أو قال : ينتهي - حتى يدخله الله وإياه(26)الجنة .

وخرج النسائي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة . قال : يقال(27)لهم : ادخلوا الجنة . فيقولون : حتى يدخل أبوانا في المجتبى آباؤنا . . فيقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم) .

وخرج الإمام أحمد ، وابن ماجه من حديث

معاذ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (والذي نفسي بيده ، إن السقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة ، إذا احتسبته) .

(24) هو أبو حسان كما في الصحيح.

(25) واحدهم دعموص أي صغار أهلها ، وأصل الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه ، أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها ، ينظر النووي شرح صحيح مسلم **16 / 182** .

(26) في الصحيح : وأباه .

(27) في الأصل تعالى وهو تصحيف .

وخرج الإمام أحمد وابن ماجه أيضا من حديث عتبة بن عبد السلمي ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل) .

وفي رواية للإمام أحمد ، (أن الله تعالى يقول للوالدان يوم القيامة : ادخلوا الجنة . فيقولون : يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا

. قال : فيأبون . فيقول الله عز وجل : مالي أراهم محبنطيين ؟ . ادخلوا الجنة . فيقولون : يارب آباؤنا . فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم). وروى الطبراني من حديث أنس نحوه وزاد **(184 \ أ)** فيه : (أن يقال لهم في المرة الرابعة : ادخلوا ووالديكم معكم ، فيثب كل طفل إلى أبويه فيأخذون بأيديهم ، فيدخلونهم الجنة . فهم أعرف بآبائهم وأمهاتهم يومئذ من أولادكم الذين في بيوتكم).

وخرج الإمام أحمد والنسائي من رواية قرة**(28)**(أن رجلا كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعه ابن له . فقال له : أتحبه ؟ قال : أحبك الله كما أحبه . فمات ففقده فسأل عنه ، فقال : أما يسرك أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا وجدته عندها**(29)** يسعى ليفتح لك - زاد الإمام أحمد - فقال رجل : له خاصة أم لكلنا ؟ قال : بل لكلكم) .
وخرج الطبراني من حديث ابن عمر نحوه ، ولكن قال فيه : فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (أو ما ترضى أن يكون ابنك مع ابني إبراهيم يلاعبه تحت ظل العرش ؟ قال : بلى يا رسول الله) .

وفي المعنى أحاديث كثيرة جدا . وقد كان الصحابة يرجون ذلك عند موتهم ، كما روي عن أبي ذر أنه لما حضرته الوفاة بكت أم ذر فقال لها : أبشري ولا تبكي ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة ، فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا) . وقد مات لنا ثلاثة من الولد (30).

(28) قرة بن إياس المزني .

(29) في السنن : عنده .

(30) رواه الحافظ أبو موسى المديني كما في التسلية للمنبجي / 97 ، وأخرج الحديث دون القصة أحمد في المسند 5 / 153 159 164 ، وابن حبان في صحيحه رقم 722 (موارد) .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن الأشتر عن أم ذر قالت : لما حضرت أبا ذر رضي الله عنه الوفاة بكيت . فقال : ما يبكيك ؟ قالت : أبكي أنه لا يد لي بتكفينك . . . الخ 1 / 170 وأخرجه من الطريق نفسه أحمد في المسند 5 / 155 166 وفيه : فقال: أبشروا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من امرأين مسلمين فذكره . وأخرج أبو نعيم أيضا من طريق عبد الله بن خراش قال : رأيت أبا ذر رضي الله تعالى عنه بالربذة

... فقلت له : إنك امرؤ ما يبقى لك ولد . فقال : الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء ... الخ 1 / 161 .

والحديث الذي قبله يدل على أن أطفال المسلمين الموتى يلعبون تحت ظل (184 / ب) العرش ، وفي حديث أبي هريرة أنهم دعاميص الجنة . والدعموص : دويبة صغيرة تكون في الماء . والمعنى أنهم يتربون في أنهار الجنة ، ويغتمسون فيها ، وفي رواية : ينغمسون في أنهار الجنة(31) يعني يلعبون فيها .

ذراري المؤمنين يكفلهم إبراهيم في الجنة

وقد روي أنه يكفلهم إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة عليها السلام .

وخرج ابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ذراري المؤمنين يكفلهم إبراهيم في الجنة) . وخرجه الإمام أحمد مع نوع شك في رفعه ، ووقفه على أبي هريرة(32)

وروي من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا : (أولاد المسلمين في جبل في الجنة ، يكفلهم إبراهيم وسارة عليهما السلام ، فإذا كان يوم القيامة دفعوا إلى آبائهم) . خرجه البيهقي وغيره مرفوعا(33) ويشهد لذلك ما في صحيح البخاري ، عن سمرة بن جندب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أتاني الليلة آتيان ، - فذكر حديثا طويلا وفيه ، إن الملكين فسراه له ، وأنهما جبريل وميكائيل ، وأنه من جملة ما رأى - رجلا طويلا في روضة وحوله ولدان وقالا له :

الرجل الطويل في الروضة إبراهيم ، والولدان حوله كل مولود مات على الفطرة . فقال رجل . يا رسول الله (185 / أ) وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين) (34).

(31) ذكرها ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 23.

(32) المسند 2 / 326 وانظر الأهوال للمؤلف / 102 .

(33) البعث والنشور رقم 210 وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف 3 / 379 والحاكم في المستدرك 1 / 384 2 / 370 وصححه ووافقه الذهبي وأبو نعيم في تاريخ أصبهان 2 / 263 وأبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث وكتاب العري كما في بشرى الكئيب / 89 . قال الدارقطني : والموقوف أشبه . كما هو في الأهوال للمؤلف /103 .

(34) الصحيح رقم 7047 وأحمد في المسند 5 / 14-15 .

وقد روي أنهم يرضعون من شجرة طوبى . وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن خالد بن معدان(35)قال : إن في الجنة شجرة يقال لها : طوبى . ضروع كلها . ترضع صبيان أهل الجنة ، وإن سقط المرأة يكون في (نهر من) (36) أنهار (الجنة) يتقلب فيه حتى يوم

القيامة ، فيبعث ابن أربعين سنة . كذا قال .

وفي حديث المقدام بن معدي كرب المرفوع : إن ما بين السقط والهرم ، يبعثون أبناء ثلاثين سنة . وفي رواية : أبناء ثلاث وثلاثين .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن خالد بن معدان قال : إن في الجنة شجرة يقال : لها طوبى كلها ضروع ، فمن مات من الصبيان الذين يرضعون يرضع من طوبى . وحاضنهم إبراهيم عليه السلام . وروى الخلال بإسناده عن عبيد بن عمير(37) : إن في الجنة شجرة لها ضروع كضروع البقر ، يغذى به ولدان أهل الجنة ، حتى إنهم يستنون كاستنان البكارة .

وبعض الأطفال له مرضع في الجنة ، مثل إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه لما مات قبل أن يفطم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن له مرضعا في الجنة تكمل رضاعه فيها . وفي رواية : " ظئرا"(38) وفي رواية: إن له مرضعين يكملان رضاعه في الجنة ، وكان النبي صلى

الله عليه وسلم **(185 \ ب)** قد حضره وهو يكيد(39) بنفسه ، فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم وقال : تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ،

(35) أبو عبد الله الكلاعي الحمصي ، ثقة عابد يرسل كثيرا ت **103** تقريب / **190** .

(36) ساقط من الأصل .

(37) لعله أبو عاصم بن قتادة الليثي قاص أهل مكة المجمع على ثقته ، وقد ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

(38) أخرجه ابن سعد في الطبقات **1 / 140** .

(39) يقارب بها الموت فتح الباري **3 / 174** .

إلا ما يرضي الرب ، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون . وفي رواية : ولولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وأنها سبيل مأتية ، وأن آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا .

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء ، من حديث زرارة بن أوفى ، أن النبي صلى الله

عليه وسلم عزى رجلا على ابنه فقال الرجل : يا رسول(40) ، أنا شيخ كبير وكان ابني قد أجزا عنا . فقال : أيسرك ، قد نشر لك ، أو يتلقاك من أبواب الجنة بالكأس ؟ قال : من لي بذاك يا رسول الله ؟ قال : الله لك بهن ولكل مسلم مات له ولد في الإسلام . وبإسناده عن عبيد بن عمير قال : إذا كان يوم القيامة خرج ولدان المسلمين من الجنة بأيديهم الشراب ، فيقول الناس : اسقونا اسقونا . فيقولون : أبوينا أبوينا . حتى السقط محبنطيا بباب الجنة يقول : لا أدخل حتى يدخل أبواي .

وفي المعنى حديث مرفوع من رواية ابن عمر لكن إسناده لا يصح وهو باطل ، قاله أبو حاتم الرازي(41).

وفي المعنى رؤيا إبراهيم الحربي(42) المشهورة حتى (86 \ أ) صار يتمنى موت ابنه.

ومات قبل البلوغ(43)، وروى البيهقي بإسناده عن ابن شوذب(44) أن رجلا كان له ابن لم يبلغ الحلم ، فأرسل إلى قومه : إن لي إليكم حاجة : إني أريد أن أدعو على ابني

هذا أن يقبضه الله ، وتؤمنون(45)فسألوه عن ذلك ، فأخبرهم أنه رأى في نومه كأن الناس جمعوا إلى القيامة ، فأصاب الناس عطش شديد ، فإذا الوالدان قد خرجوا من الجنة معهم الأباريق ، فأبصرت ابن أخ لي فقلت : يا فلان اسقني . فقال : يا عم إنا لا نسقي إلا

(40) (الله) زيادة يقتضيها السياق .

(41) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أحد الحفاظ ت **277** تقريب / **467** .

(42) أبو إسحاق من تلاميذ الإمام أحمد زاهد ورع فقيه محدث ت **285** طبقات الحنابلة **1** / **86** .

(43) ذكرها ابن ناصر الدين في برد الأكباد / **29** .

(44) أبو عبد الرحمن عبد الله الخرساني . صدوق عابد ت **156** تقريب / **308** .

(45) أي على دعائه.

آباءنا . قال فأحببت أن يجعل الله ولدي هذا فرطا لي(46)فدعا فأمنوا . فلم يلبث الغلام إلا يسيرا حتى مات (47)

وفي أكثر الأحاديث ذكر الثلاثة والاثنين. وفي بعضها وأظن لو قلنا وواحدا لقال : وواحدا . خرجه أحمد من حديث جابر(48).

وقد جاء ذكر الواحد في حديث ، خرج الترمذي وغيره من حديث ابن مسعود مرفوعا : من قدم ثلاثة لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنا حصينا . فقال أبو ذر : قدمت اثنين . فقال : واثنين . فقال أبي بن كعب : قدمت واحدا . قال : وواحدا ، ولكن إنما ذاك عند الصدمة الأولى . وفي الترمذي عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما(49) الجنة . فقالت عائشة : ومن كان له فرط من أمتك . قال(50): ومن (186 \ ب) كان له فرط من أمتي يا موفقة . قالت : فمن لم يكن له فرط من أمتك ؟ قال : فأنا فرط أمتي ، لن يصابوا بمثلي ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في آخر خطبة خطبها : (إني فرطكم على الحوض) ،يشير إلى أنه يتقدمهم ويسبقهم إلى الحوض ، وينتظرهم عنده.

وفي حديث مرسل خرجه ابن أبي الدنيا :

من مات ولم يقدم فرطا لم يدخل الجنة إلا تصريدا(51) .فقيل : يا رسول الله ، وما الفرط ؟ قال : الولد (أ) (52)وولد الولد . والأخ يؤاخيه في الله عز وجل . فمن لم يكن له فرط ، فأنا له فرط .

(46) يقال : افترط ولدا أي مات ولده قبل الحلم . ترتيب القاموس 3 / 475 .

(47) ذكره ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 28 إلا أنه نسب القصة إلى ابن شوذب نفسه . وليس هذا من هدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا صحابته ولا التابعين ومن سلف من صلحاء الأمة بل ورد النهي عن الدعاء على الأولاد والتحذير منه .

(48) المسند 19 / 139 قال الهيثمي : ورجاله ثقات المجمع 3 / 7 .

(49) في الأصل : بهم .

(50) في الأصل : قال ومن قال ومن . وهو سهو من الناسخ .

(51) التصريد : التقليل ترتيب القاموس2 / 812 .

(52) ساقط من الأصل .

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة ، في ذكر

المنام الطويل عن النبي صلى الله عليه وسلم : ورأيت رجلا من أمتي خف ميزانه ، فجاءته أفراطه الصغار فثقلوا ميزانه .

وعن داود بن أبي هند(53) قال : رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت ، وكأن الناس يدعون للحساب فقدمت إلى الميزان ، فوضعت حسناتي في كفة وسيئاتي في كفة ، فرجحت السيئات على الحسنات ، فبينا أنا كذلك مغموم ، إذ أتيت بشيء كالمنديل أو كالخرقة البيضاء ، فوضعت في حسناتي (فرجحت على السيئات) (54) فقيل لي : تدري ما هذا ؟ قلت : لا . قال : سقط كان لك . قلت : إنه قد كانت لي صبية ابنة لي . فقيل لي : تيك ليست لك ؛ لأنك كنت تتمنى موتها(55)

وفي (187 \ أ) هذا إشارة إلى أن الميزان إنما يثقل بما يثقل على النفوس : من المصائب ويشق ، فأما ما لا يثقل عليها ولا يشق لمن يتمنى موته من أولاده فلا يثقل به الميزان .

قال ابن أسلم(56): مات ابن لداود عليه

السلام فحزن عليه حزنا شديدا . فأوحى الله (إليه) (57) : ماذا كنت مفتديه ؟ قال : بطلاع(58) الأرض ذهبا . قال : فأوحى الله إليه : إن لك عندي من الأجر بحساب ذلك . وفي رواية قال : يا داود ما كان يعدل هذا الولد عندك ؟ قال : كان يعدل عندي ملء الأرض ذهبا . قال : فلك يوم القيامة عندي ملء الأرض ثوابا(59) سبحان من لا يحصي العباد نعمه . وربما كانت نعمه فيما يسوء أكثر من نعمه فيما يسر كما قيل :

(53) أبو بكر القشيري مولاهم البصري ، ثقة متقن كان يهم بآخرة ت 140 تقريب / 200 .

(54) ساقط من الأصل .

(55) أخرجه عبد الرحمن بن أبي حاتم كما في التسلية / 127 وذكره ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 19 .

(56) أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب ، ثقة عالم وكان يرسل ت 136 تقريب / 222.

(57) ساقط من الأصل .

(58) الطلع : المقدار . ترتيب القاموس 3 / 88 .

(59) ذكره ابن ناصر الدين في برد الأكباد / 27 .

إذا مس بالسراء عم سرورها * * * وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما فيهما إلا له فيه نعمة * * * تضيق بها الأوهام والبر والبحر

لما كان للمؤمن داران : دار يرتحل منها ، ودار ينتقل إليها ويقيم بها أمره أن ينقل من دار ارتحاله إلى دار إقامته ؛ ليعمرها من بعض ما أعطاه في دار ترحاله .

وربما أخذ منه كرها ما يعمر به دار إقامته ، ويكمل له به عمارتها وإصلاحها ، ويقدم له إليها ما يحب من أهل ومال وولد ، يسبقونه إليها ؛ ليقدم على ما يحب من مال وأهل وولد ، وإن كان المؤمن **(187 \ ب)** لا يشعر بذلك .

فما فرق إلا ليجمع ، ولا أخذ إلا ليرد ، ولا سلب **(إلا)** زيادة يقتضيها السياق . ليهب ، ولا استرد العواري إلا ليردها تمليكا ثابتا لا استرجاع فيه بعد ذلك **!!**

وفي مراسيل الحسن ، أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لأن أموت قبل أخي أحب إلى . فقال : لأن يكون لك أحب إليك من أن تكون له .

قال الحسن : علموا أن ما لهم من أهاليهم (إلا) (60)ما قدموا أمامهم(61). وكذا قال عمر بن عبد العزيز(62)وغيره . ويشهد له حديث : الرقوب(63)من لم يقدم ولدا .

سبحان من أنعم على عباده بما خولهم من المال والولد ، ثم استرجع بعض ذلك منهم كرها ، وعوضهم الصلاة والرحمة والهدى(64) وذلك أفضل مما أخذ كما قيل :

عطيتــه إذا أعطــى ســرورا * * * وإن أخذ الـذي أعطـى أثابـا

(60) زيادة يقتضيها السياق .

(61) أخرج نحوه أبو نعيم في الحلية 2 / 141 .

(62) ابن مروان بن الحكم الأموي ، أمير المؤمنين ويعد من الخلفاء الراشدين ت101 تقريب / 415 .

(63) الرقوب : التي لا يبقى لها ولد أو مات ولدها . ترتيب القاموس 2 / 372 .

(64) قال تعالى : { الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ *أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } سورة البقرة الآيتان 156 157 .

فـأي النعمتيـن أجـل قـدرا * * * وأحـمـد
فــي عواقبهـا مآبـا(65)
أرحمتـه التـي جاءت بكـره * * * أم
الأخرى التي جلبت ثوابا
بــل الأخـرى وإن نـزلت بضـر * * * أجل
لفقد من صبر احتسابا

آخره ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا(66)

(65) في الأصل **:** مآبا ، إيابا **.**

(66) إلى هنا انتهت الرّسالة والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات **.**الوليد بن عبد الرحمن الفريان**.**